سلسلة لباب العلوم (١١)

مهمات مسائل العلم ـ تطبيقات تدريبية

لباب المعتقد

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾

تأليف

د. طالب بن عمر بن حيدرة الكثيري

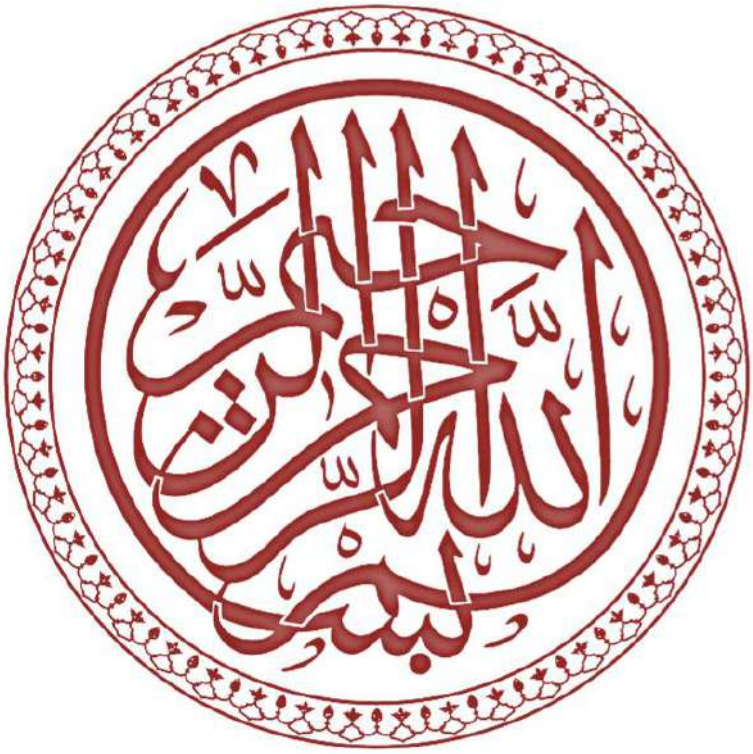
بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة الذاريات:٥٦]؛ أي يوحدون، والتوحيد: مصدر وحّد؛ أي اعتقده واحدًا، واصطلاحًا: هو إفراد الله عَزَّوَجَلَّ بما يختص به من ربوبيته، وأسمائه وصفاته، وألوهيته، والجزم بذلك هو العقيدة، وقد يسمىٰ باسم الإيمان، والسنة، والمعتقد.

والتوحيد لا بد فيه من نفي وإثبات، فينفىٰ عن غير الله ما اختصّ به الله، ويثبت لله ما اختص به علىٰ وجه الكمال، قال تعالىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [سورة البقرة:٢٥٦].

ويجب الإيمان بذلك علىٰ ما اقتضته نصوص الكتاب والسنة علىٰ فهم سلف الأمة الذين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ.

ولا بد في الإيمان من اعتقاد القلب، وقول اللسان، وعمل الجوارح، دلّ علىٰ هذه الثلاثة حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذىٰ عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**» رواه الستة، وكلما زادت هذه الأركان الثلاثة زاد الإيمان، وكلما قلت قلّ الإيمان، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [سورة الأنفال:٢].

وإنما يؤخذ المعتقد الحق من تدبر النصوص الشرعية علىٰ فهم سلف الأمة، فنستدل ثم نعتقد، فإذا أردنا أن نعرف المعتقد الصحيح لاتصاف الله تعالىٰ بصفة الكلام التي ضلت فيها كثير من الفرق، نظرنا للنصوص، ومنها:

- ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [سورة النساء:١٦٤]، فآمنّا أن كلام الله تعالىٰ كلام حقيقي؛ لذا أُكدّ باسم المصدر.

- ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [سورة القصص:٦٥]، وأنه يتكلم بحرف وصوت مسموع.

- ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ٨٧﴾ [سورة النساء:٨٧]، فكلام الله تعالىٰ لا يماثل كلام المخلوقين، بل هو خير كلام.

- ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ﴾ [سورة الأنعام:١١٥]، فكلام الله تعالىٰ صدقٌ في أخباره، عدلٌ في أحكامه.

- ﴿مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ﴾ [سورة البقرة:٢٥٣]، فيُكلِّم من يشاء.

- ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [سورة الأعراف:١٤٣]، ويتكلم متىٰ شاء، فهي صفة ذاتية باعتبار أصلها، فعلية باعتبار آحادها؛ لتعلقها بمشيئته سبحانه.

- ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ٥٢﴾ [سورة مريم:٥٢]، ويتكلم كيف شاء، إن شاء بمناداة، أو بمناجاة.

- ﴿وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠﴾ [سورة الشعراء:١٠]، ويتكلم بما شاء، إن شاء بالتوراة أو بالإنجيل أو بالقرآن، إن شاء بالأمر، وإن شاء بالنهي، وإن شاء بالخبر، أو بما شاء سبحانه.

فتتحصل من مجموع ذلك عقيدة أهل السنة والجماعة في صفة الكلام.

وإنما تفهم النصوص الشرعية بفهم سلف الأمة من القرون الثلاثة المفضلة، وفي مقدمتهم الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، فتسلم قلوبنا وألسنتنا لأصحاب رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا﴾ [سورة الحشر:١٠] هذه ألسنتنا تثني عليهم، ﴿ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [سورة الحشر:١٠] وهذه أعمالهم التي سبقوا بها، ونقتدي بهم فيها، ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [سورة الحشر:١٠] وهذه قلوبنا تحبهم، ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [سورة الحشر:١٠]، فهم قدوات عملية لنا، نقتدي بآثارهم، ونهتدي بفهمهم بخلاف أهل البدع:

- فالله تعالىٰ رضي عنهم، فقال في محكم تنزيله: ﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ١٨﴾ [سورة الفتح:١٨].

- وما بدَّلوا دينهم ومعتقدهم بعد رسولهم صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، بل قال الله تعالىٰ: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ٢٣﴾ [سورة الأحزاب:٢٣].

- ووعدهم جميعهم الجنة، فقال: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [سورة الحديد: ١٠]؛ أي الجنة.

- ولا يلزم من فضلهم وولايتهم العصمةُ من الذنوب، بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إنْ صدَر.

الدرس الأول: إفراد الله بربوبيته.

إفراد الله بربوبيته يعني إفراده بما اختص به من أفعال، ومنها:

١- **إفراده بالخلق:** فهو الخالق الخلّاق الذي يقدّر الأشياء قبل وقوعها، وهو البارئ الذي يخلقها متىٰ شاء كما قدّرها، وهو المصوّر بديع السموات والأرض الذي يصورها إذا خلقها علىٰ أكمل صورة وأبدع خلق، فأقررنا له بالعبودية، قال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٥٩ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ۝٦٠﴾ [سورة النمل:٥٩-٦٠].

فعطّل الملاحدة الإيمان بأن الله الخالق، وزعموا أن الكون جاء بهذا الإحكام من غير خالق يستحق العبادة، وكفاهم جوابًا أن العقل الصحيح كذبهم، فلا موجود بغير موجد، ولا أثر من غير فاعل، قال سبحانه: ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝٣٦ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ ۝٣٧﴾ [سورة الطور:٣٥-٣٧]، ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ۝٤٩ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾ [سورة طه:٤٩-٥٠].

٢- **وإفراده بالرزق:** فهو الذي أمدّنا بنعمه، فهو الرب، وأعطانا من قبل أن نسأله؛ لأنه الرزاق المعطي، وأطعمنا وعافانا إذا احتجنا؛ لأنه المقيت الشافي، وهدانا لأقوم السبل؛ لأنه الهادي المبين، وأعطانا لما سألناه؛ لأنه البرّ، وفوق ما سألناه؛ لأنه المحسن الجواد، ودون عوض؛ لأنه الوهاب، حتىٰ أثقلنا بالنعم؛ لأنه المنان، وبأجود العطايا؛ لأنه الكريم الأكرم، فأقررنا له بالحمد والشكر، قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ۝٨٠ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ۝٨١﴾ [سورة الشعراء:٧٨-٨١].

وعطّل من عظّم الخلقَ من دون الرزاق شُكرَ نعمته، فطلبوا جلب النفع ودفع الضر من مخلوقين مثلهم، لا يرزقهم إلا الله، لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا، ولا يعلمون الغيب من طواغيت وسحرة، وكفاهم جوابًا أن المخلوق العاجز فاقد، وفاقد الشيء لا يعطيه، قال تعالىٰ في قول السحرة لما آمنوا لفرعون: ﴿قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ٧٢ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ٧٣﴾ [سورة طه:٧٢-٧٣].

٣- **وإفراده بالتدبير:** فدبّر أمرنا بحكمه وحكمته؛ لأنه الحكم الحكيم، المقدم المؤخر، فجرىٰ أمرنا علىٰ أحكامه القدرية فينا، فآمنا بقدره؛ بأنه علِم الأشياء وكتبها قبل وقوعها، ثم شاءها وخلقها عندما أراد وقوعها، وآمنا أن ما أصابنا لم يكن ليخطئنا، وما أخطأنا لم يكن ليصيبنا، قال تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ٢٣﴾ [سورة الحديد:٢٢-٢٣]، وفي حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الترمذي قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يؤمن عبدٌ حتىٰ يؤمن بالقدر خيره وشره؛ حتىٰ يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه**».

وعطّل الذين تعلقوا بالأسباب قدرة الله وقضاءه، وعظموها من دون الله، وجهِلَ قومٌ حكمته في تدبيره، فما رضوا بقضائه وقدره، وكفاهم جوابًا أن الذي خلق خلقه هو الذي خلق أسباب ما يجلب لهم نفعًا، أو يدفع عنهم ضرًّا، فالسبب الشرعي ما عُرف بالشرع، والسبب القدري ما عُرف بتجربة الناس أو حذّاق أهل كل صنعة، والله يقول: ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٨﴾ [سورة القصص:٦٨].

٤- **وإفراده بالأمر:** فيأمر جنوده بما شاء من ملائكة خلقهم من نور، وسخّرهم في تنفيذ أوامره وأحكامه في خلقه، ونصرة أوليائه، وتعذيب أعدائه، فلا يعصون الله ما أمرهم، بل يفعلون ما يأمرون، قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ٧﴾ [سورة الفتح:٧]، وقال تعالىٰ: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [سورة البقرة:١٧٧]، وفي حديث جبريل الطويل الذي أخرجه مسلم عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «**قال: الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**».

وعطّل قومٌ الإيمانَ بالملائكة حتىٰ تهاونوا في معصية الله عَزَّوَجَلَّ، وتجرأوا عليه، وكفاهم جوابًا أن من عرف قدر الْملِك سبحانه عرف عظمة جنوده، والله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [سورة التحريم: ٦].

الدرس الثاني: إفراد الله بأسمائه وصفاته:

فيُـفرد الله عَزَّوَجَلَّ بكمال أسمائه الحسنىٰ، وصفاته العليا، ويُؤمن بها العبد علىٰ ظاهر ما دلّت عليه النصوص من غير تحريف في الدليل، ولا تعطيل ولا تفويض للمدلول، ولا تأويل يرد ظاهره بغير دليل، ولا تكييف للمعنىٰ، ولا تمثيل، ومن ذلك:

١- **صفات العظمة والجلال:** فلله صفات العظمة، فهو الكبير المتكبر العظيم، وله صفات الشرف والمجد، فهو السيد المجيد المليك، وله صفات القوة والقدرة النافذة، فهو القويّ القدير، لا يعجزه شيء ولا يفوته، وهو العزيز المتعال القهّار، فنعظمه سبحانه ونكبره، قال تعالىٰ: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٧٧ تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٧٨﴾ [سورة الرحمن:٧٧-٧٨].

وعطّل قومٌ عظمةَ الله، فأنكروا صفاته، فعبدوا عدمًا، وكفاهم جوابًا ما وصف الله به نفسه في القرآن الكريم من صفاته كماله، وما وصف به ما عُبِد من دونه من آلهة من صفات نقصها، قال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ۝١٤﴾ [سورة فاطر:١٣-١٤].

٢- **وصفات التنزيه:** فتـنزه سبحانه وتقدس من كل نقص وعيب، فهو السلّام القدوس، تنزه عن الحاجة فهو الغني، وعن الباطل فهو الحق، وعن الشريك فهو الواحد الأحد، وعن المثيل فهو الوتر، قال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾

[سورة الإخلاص:١-٤].

وعطّل قومٌ تسبيحه وتنزيهه عَزَّوَجَلَّ، فجعلوا أقداره التي غابت حكمتها عن عقولهم القاصرة ظلمًا، وكفاهم جوابًا أن يعلموا عجزهم عن إدراك أسرار حكمته البالغة في تدبير أمر خلقه في كونه، قال تعالىٰ: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة العنكبوت:٤٠].

٣- **وصفات العلم والجزاء:** فهو الذي علِمَ أحوال عباده الظاهرة والباطنة، فهو العليم الشهيد الخبير، وأحاط بأقوالهم وأفعالهم، فهو السميع البصير، ولم يخرجوا عن إحاطته، فهو المحيط المهيمن، لا زمانًا، فهو الأول الآخر، ولا مكانًا، فهو الظاهر الباطن، بل اطّلع عليهم، وسيحاسبهم، وهو الرقيب الديان، في يوم يبعث فيه الأولين والآخرين، ويحكم بينهم بحكمه الجزائي، فيؤمن العبد باليوم الآخر: من كل ما جاء في الكتاب والسنة الصحيحة مما يكون بعد الموت، مما يكون في القبور: من فتنة القبر، وعذابه أو نعيمه، ثم البعث والحشر، ومما يكون في العرصات: من الحوض، والشفاعة العظمىٰ، ومما يكون في الحساب: من الموازيين، والدواوين، وعرض ومناقشة الحساب، والشفاعة فيمن استحق النار ألا يدخلها، ومما يكون في الجنة والنار: من الصراط، والهوي في النار، والشفاعة لدخول الجنة، ونعيم الجنة، قال تعالىٰ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [سورة آل عمران:١٨٥]، وقد دلّ العقل الصحيح علىٰ البعث والحساب، فوجود بشرية تُخلَق وتُرزق، وتُرسل لها الرسل، ويقاتلون علىٰ دين الله تعالىٰ، ثم تموت ولا تبعث لا يليق بحكمة الله تعالىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة القيامة:٣٦-٤٠].

وعطّل قومٌ الإيمان بتفاصيل ما دلت عليه النصوص من مشاهد ومواقف بحجة عدم إدراك العقل القاصر لحقائقها، وكفاهم جوابًا الإيمان بأن دليل الحق هو خبر مصدّق أو عقل محقق، فإن انتفىٰ الثاني عندهم، فقد ثبت الإيمان بها بالدليل الأول، وأن الذي خلق هذا الكون العظيم لا يعجزه شيء، قال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة الأحقاف:٣٣].

ومن أراد أن يعرف الله أكثر:

١- **تأمل في الكون المنظور:** في مخلوقات الله: في بدائع خلقها، وعجائب تدبيرها وحفظها، وحكمة إيجادها، قال تعالىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨﴾ [سورة ق:٦-٨].

٢- **وقرأ في الكتاب المسطور:** فنظر بأيّ شيء تعلقت أسماء الله وصفاته وأفعاله، قال تعالىٰ: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ [سورة سبأ:٢]، فآمن أنّ علمَ الله تعالىٰ تعلق بكل ما يحصل في العالم الأرضي مما يدخل ويخرج، وما يحصل في العالم العلوي مما ينزل ويصعد، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ۝٤٦﴾ [سورة التوبة:٤٦]، وقال: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥٥﴾ [سورة الزخرف:٥٥]، فآمن أن من كرهه الله ثبّطه عن الصالحات، ومن غضب عليه انتقم منه.

وإنما نؤمن بالنصوص الشرعية مجتمعة، ونحمل متشابهها علىٰ محكمها:

- فأدلة العلو كقوله تعالىٰ: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِۚ﴾ [سورة النساء:١٥٨]، يجمع بينها وبين أدلة المعية، كقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤﴾ [سورة الحديد:٤] بالإيمان أن الله تعالىٰ عالٍ بذاته، وهو معنا ببصره وعلمه.

- وأدلة الرؤية كقوله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [سورة القيامة:٢٢-٢٣]، تجمع مع أدلة نفي الإحاطة كقوله تعالىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [سورة الأنعام:١٠٣] بالإيمان برؤية المؤمنين ربهم بأبصارهم يوم القيامة، لكنهم لا يحيطون به عَزَّوَجَلَّ.

- وأدلة إثبات أفعال العباد كقوله تعالىٰ: ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝١٧﴾ [سورة السجدة:١٧]، يجمع بينها وبين أدلة خلق أفعالهم كقوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾ [سورة الصافات:٩٦] بالإيمان أن العباد لهم أفعال علىٰ الحقيقة، والله خالقهم وخالق أفعالهم.

- وأدلة إثبات مشيئة العبد كقوله تعالىٰ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨﴾ [سورة التكوير:٢٨]، يجمع بينها وبين أدلة إثبات مشيئة الله لأفعال عباده كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾

[سورة التوبة:٦]، وهو قول من بلغه للناس كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝٤٠﴾ [سورة الحاقة:٤٠]؛ جمعًا بين النصوص، وحملًا للمتشابه علىٰ المحكم.

- والفاسق مرتكب الكبيرة لا يعطىٰ اسم الإيمان المطلق كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن**» أخرجه مسلم، لكنه يعطىٰ مطلق اسم الإيمان كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ﴾ [سورة الحجرات:٩].

وبهذا تظهر وسطية أهل السنة والجماعة، فلا إفراط ولا تفريط، والله يقول: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ [سورة البقرة:١٤٣].

الدرس الثالث: إفراد الله تعالى بألوهيته:

ومن بابي إفراد الله تعالىٰ بكمال ربوبيته، وإفراده بكمال أسماء وصفاته: يفرد الله تعالىٰ بكمال ألوهيته، فيُفرد بالعبادة؛ بكمال محبته وتعظيمه، فالله: هو المألوه المعبود، المتصف بكمال الأسماء والصفات والأفعال.

١- **فله أسماء الرحمة:** فهو الذي ستر الذنب وحلم عن العقاب، وهو الستير الحليم، ووفق للتوبة وتقبلها، وهو التواب العفوّ، فغفر الذنب وعصم منه، وهو الغفور الرحيم، فلا يُسأل إلا هو، ولا يطلب من سواه، قال تعالىٰ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [سورة النمل:٦٢-٦٣].

وعطّل قومٌ الإيمان بواسع رحمته وعفوه، فقنطوا من رحمة الله، وما أمّلوا سعة رحمته بهم؛ إن أقبلوا عليه، وبكوا بين يديه، وكفاهم جوابًا أن يعرفوا مَن ربهم سبحانه؟ قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [سورة الزمر:٥٣].

٢- **وله أسماء المحبة والجمال:** فهو الجميل نور السموات والأرض، أحبَّ عباده وأحبوه، فهو الولي والودود، وتولاهم بحفظه وعنايته، فهو الحفيظ الوكيل، وأكرمهم بنصرهم وعونهم، وهو الفتاح النصير، وأجاب دعاءهم وترفق بهم، وهو القريب المجيب اللطيف، فنحبه بكل قلوبنا، وتمتلئ أسماعنا وأبصارنا بمحبته وتعظيمه، لا إله إلا هو، قال سبحانه: ﴿إِنَّ وَلِىِّىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾﴾ [سورة الأعراف:١٩٦-١٩٧].

وعطّل قومٌ عبادة الله، فصرفوها لغيره، وأشركوا معه سواه، وكفاهم جوابًا أن من أيقن أن الله هو الذي تفرد بالخلق والرزق أيقن أنه لا يستحق العبادة سواه، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾﴾ [سورة الأنعام:١٤].

فمن أراد محبة الله بحثَ في كل ما يحبه ربه فعمل به، وكل ما يبغضه فتركه، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [سورة البقرة:٢٢٢]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾ [سورة لقمان:١٨].

والعبادة: هي فعل الأوامر وترك النواهي، مع كمال المحبة والتعظيم، وهي اسمٌ جامعٌ لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال.

فالدعاء عبادة؛ لأن الله أمر به، فقال تعالىٰ: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [سورة الأعراف:٥٥]، ولا يأمر شرعًا إلا بما يحبه، وأثنىٰ علىٰ الداعين، فقال تعالىٰ عن أنبيائه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [سورة الأنبياء:٩٠]، ورتب عليه الإجابة، فقال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [سورة غافر:٦٠]، بل سمّاه الله تعالىٰ عبادة، فقال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [سورة غافر:٦٠]، ورسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ سمّاه عبادة، فقال: «**الدعاء هو العبادة**» رواه الخمسة إلا النسائي بسند صحيح من حديث النعمان بن بشير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وأفرد الله به نفسه؛ لما خصّ به نفسه، فقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ﴾ [سورة غافر:٦٥]، ولما نهىٰ عن صرفه لغيره، فقال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [سورة الجن:١٨]، ولما ذمّ من صرفه لغيره، فقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [سورة المؤمنون:١١٧]، ولما سمّىٰ صرفه لغيره شركًا، فقال تعالىٰ: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [سورة فاطر:١٤].

٣- **وإنما يُعبد الله تعالى بما أنزل في كتبه، وجاءت به رسله**، فنؤمن بأن كتبه جاءت بأخبار الصدق، وأحكام الحق، وأعظمها وناسخها القرآن الكريم، كلام الله الذي نزل به جبريل علىٰ محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ونؤمن بأن رسله أدّوا الأمانة، وبلغوا الرسالة، وجاهدوا في الله حق جاهده، عقيدتهم واحدة، وشرائعهم مختلفة، وأعظمهم وخاتمهم نبينا محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فنقتدي بهديه، ونتحاكم إلىٰ شرعه، قال تعالىٰ: ﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ١١٤﴾ [سورة الأنعام:١١٤].

وعطّل قومٌ الإيمان بكتبه وشرعه، واتباع رسله؛ بزعم أنهم جاءوا بما لا تفهم عقولهم القاصرة مقاصده العظيمة، ولا يتوافق مع شهواتهم السقيمة، وكفاهم جوابًا أن الله تعالىٰ الذي خلقهم أعلم بمصالح خلقه، قال تعالىٰ: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤﴾ [سورة الملك:١٤].

فينطق العبد بالشهادتين صادقًا فيهما، مستيقنًا بهما عن علمٍ بمعناهما، واعتقادِ صحتهما، والتزامٍ بمضمونهما:

١- **لا إله إلا الله**؛ أيّ لا معبود بحق إلا الله، وتفسيرها الذي يوضحها قوله تعالىٰ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٦٤﴾ [سورة آل عمران:٦٤]، والكلمة السواء: هي كلمة لا إله إلا الله.

٢- **وأن محمدًا عبد الله ورسوله**؛ أيّ أرسله الله لهداية الناس، فيطاع فيما أمر؛ سواء علمنا حكمته أم لم نعلم، ويصدق فيما خبر؛ سواء علمنا حقيقة معناه أم لم نعلم، ولا يعبد الله إلا بما شرع، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧﴾ [سورة الحشر:٧].

الدرس الرابع:

١- اجمع من النصوص الشرعية عقيدة أهل السنة والجماعة في:

أ- رؤية الله تعالىٰ.

ب- صفات الملائكة.

ت- شجر الجنة والنار.

٢- ما الأصل المحكم في ردّ شبهات:

أ- الملاحدة المنكرين وجود الله عَزَّوَجَلَّ؟

ب- الدهرية المنكرين للبعث؟

٣- كيف تثبت بالأدلة أن ما يأتي عبادة؟

أ- التوكل.

ب- الخوف.

٤- ما الصفات التي إذا اتصف بها العبد فاز بمعية الله تعالى الخاصة بأوليائه، استدل عليها من النصوص.

تمت الرسالة بحمد الله

إجازة

في لباب المعتقد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين،

أما بعد :

فقد أخذ عليَّ الأخ / .....

من بلد .....

في يوم ..... تاريخ ..... في مدينة ..... رسالة لباب المعتقد

وهي:

إحدىٰ رسائل سلسلة لباب العلوم، وقد قصدت بها جمع خلاصة هذا العلم ، وقد استجازني فأجزته، وأوصيه بتقوىٰ الله في السر والعلن، وألا ينساني ووالديَّ وذريتي ومشايخي من دعوة صالحة ، وأحثُّه علىٰ شرحه لمن يطلب ذلك منه ، وأن يربيهم علىٰ العمل به.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

صحيح ذلك عني

طالب بن عمر بن حيدرة الكثيري

ختم الإجازة

فهرس الكتاب

مقدمة ٣

الدرس الأول: إفراد الله بربوبيته..... ٦

الدرس الثاني: إفراد الله بأسمائه وصفاته ٩

الدرس الثالث: إفراد الله تعالىٰ بألوهيته ١٣

الدرس الرابع ١٦

فهرس

الكتاب..... ١٨